الطباق والمقابلة في ديوان ديك الجن

إعداد

د/أحمد أحمد محمد شكم

مدرس البلاغة والنقد بكلية الدراسات والعربية للبنين بالقاهرة

مايو 2015

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، خلق الإنسان، وزينه بالنطق والبيان، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد أشرف الخلق ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فإن اللغة العربية أشرف اللغات قدرًا، وأعظمها شأنًا، اختارها الله تعالى لغة لكتابه الكريم، وبعث رسوله الأمين، بلسان عربيٍّ مبين، فهي أوسع اللغات، وأكثرها بيانًا، وإفهامًا بحاجة الإنسان، قال الإمام الشافعي:"لسان العرب أوسع الألسنة مذهبًا، وأكثرهم ألفاظًا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبيّ"[1]، لذلك كانت هذه اللغةُ في كل موطن من مواطن البيان لغةَ الإيقاع المتجدد، فتربعت بذلك على عرش اللغات كلها.

ومن عظيم نعم الله على الإنسان أن يوجهه إلى خدمة هذه اللغة، وأن يتعلم قواعدها وبلاغتها، وثقافتها نظمًا ونثرًا.

والشعر أحد الروافد المهمة للغة العربية؛ لأنه أحد الشهود الناطقة، والأدلة الصادقة، على تاريخ العرب، وكان من فضل الله عليّ أن قمتُ بهذه الدراسة على ديوان من دواوين الشعر العربي في العصر العباسي

---

[1] أحكام القرآن للشافعي – جمع البيهقي(23/1).

الأول للشاعر ديك الجن الحمصي المتوفى سنة 235 هـ ، وقد هممتُ أن أقوم بدراسة الفنون البديعية في هذا الديوان، ولكن لكثرتها ، رأيتُ أن أقتصر على الطباق والمقابلة فقط؛ حتى أترك المجال مفتوحًا لدراسة باقي الفنون البديعية على جميع القصائد في هذا الديوان.

وبمطالعتي لشعر ديك الجن وجدت كثيرًا من المحسنات البديعية – لا سيما الطباق والمقابلة – فقد كان يلجأ إليهما كثيرًا؛ للتعبير عن مكنون مراده، في صورة فنية رائقة معبرة ومؤثرة .

وجاء البحث بعنوان: " الطباق والمقابلة في ديوان ديك الجن الحمصي ت(235) هـ

وقد اخترت هذا الموضوع لأسباب منها:

- أن هذا الموضوع لم يُدرس من قبل فيما أعلم.
- أن العصر العباسي الأول من أزهى العصور الثقافية التى ظهر فيها الذوق البلاغي والأدبي.
- أثر الفنون البديعية الواضح في شعر ديك الجن وخاصة الطباق والمقابلة.

خطة البحث:

جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس.

- أما المقدمة ففيها أهمية الموضوع وأسباب اختياري له وخطة البحث.

- **والتمهيد وفيه ترجمة موجزة لحياة الشاعر (اسمه، ونسبه، ولقبه، مكوّناته السياسيّة والدينية ..،ووفاته)**
- **المبحث الأول: الطباق في ديوان ديك الجن: وفيه ثلاثة مطالب:**
- **المطلب الأول: طباق الإيجاب في ديوان ديك الجن.**
- **المطلب الثاني: طباق السلب في ديوان ديك الجن.**
- **المطلب الثالث: الطباق المسمى تدبيجًا في ديوان ديك الجن.**
- **المبحث الثاني: المقابلة في ديوان ديك الجن**
- **الخاتمة: وفيها الحديث عن أهم النتائج التي توصل إليها البحث.**
- **الفهارس : فهرس أهم المراجع والمصادر ، وفهرس الموضوعات.**

((رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ))[1]

د. أحمد أحمد محمد شكم

---

[1] البقرة :(286).

التمهيد

ديك الجن الحمصي: اسمه، ونسبه، ولقبه، مكوّناته السياسيّة والدينية ..، ووفاته.

ديك الجن

اسمه ونسبه : [1]

عبدُ السَّلامِ بنُ رَغْبَانَ بنِ عبيد السلامِ بنِ حَبيب بنِ عبدِ الله بنِ رَغْبَانَ بنِ يزيدَ بنِ تَميم بن مَجْد، أبو مُحمد الكَلْبِيُّ، الحِمْصِيُّ السَّلَمانيُّ، الشِّيعيُّ، الشاعرُ المعروف بدِيكِ الجِنِّ .

لقبه:

غلب على شـــاعرنا لقب " دِيكُ الجِنِّ " حتى كاد يطمس اسمه، فأصـبحت معظم كتب الأدب تسـتغني بذكر اللقب عن ذكر اسمه، لأنه أصبح معروفاً به، ومشـتهراً شـهرة بالغة. وقد ذكرت كتب التراث أسـباباً عدة لغلبة هذا اللقب عليه:

1- ينظر ديوان ديك الجن الحمصي جمع وتحقيق ودراسة / مظهر الحجي :16 – منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق سنة2004م ، ويراجع ترجمته أيضا في : الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (ت356هـ): 38/14 –ت د/ يوسف البقاعي ، وغريد الشيخ – منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – ط1 سنة1420هـ/2000م ، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت681هـ) ت د/ إحسان عباس 184/3 – دار صادر – بيروت ، والوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت764هـ) 257/18 – ت د/ أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط1 سنة1420هـ/2000م ، والأعلام لخير الدين الزركلي 5/4 – دار العلم للملايين – بيروت – ط15 سنة2000م

السبب الأول : إدمانه الخروج إلى البساتين في ظاهر حمص.

وقد ربط هذا التعليل بين شـــاعرنا وبين دُوَيِّبَة صـــغيرة اسمها (دِيكُ الجِنّ). يقول الدُّمَيْرِيّ : " ديك الجن دويّبة توجد في البساتين، إذا أُلقيتْ في خمر عتيق حتى تموت. وتُترك في محارة. وتســد رأســها وتدفن في وســط الدار، فإنه لا يوجد فيها شيء من الأَرَضَة. "[1] ا هـ .

السبب الثاني : الألوان.

وقد ربط هذا التعليل بين ألوان الديك المتنوعة وبين عيني شـــاعرنا الملوّنتين، فشُـــبِّه بالديك لتلوّن عينيه. ففي (تاج العروس) : " والديك أيضاً : الربيع في كلامهم. كأنه لتلوّن نباته. فيكون على التشـبيه بالديك. وديكُ الجِنّ. لقب عبد السلام بن رغبان الحمصيّ الشاعر المشهور "[2] ا هـــ. وفي (تاريخ دمشق) : " وكانت عيناه خضراوين. ولذلك سُمي ديكَ

---

(1)- حياة الحيوان الكبرى :1:488 .(حياة الحيوان الكبرى : كمال الدين الدُّميري. القاهرة، دار التحرير ،1965م).

[2] تاج العروس : 7 / 134، مادة (ديك) : (تاج العروس من جواهر القاموس : الزَّبيدي (محمد مرتضى الحسيني). بيروت دار صادر، مصورة عن ط 1، مصر، المطبعة الخيرية 1306 هـ). وفي القاموس المحيط : 3 / 303، مادة (الديك) : " والديك : الربيع، كأنه لتلوّن نباته. وديك الجن لقب عبد السلام الشاعر ". (القاموس المحيط : مجد الدين الفيروز آباذي. مصر، المكتبة التجارية الكبرى، مؤسسة فن الطباعة، لا. تا).

الجِنّ "[1] ا هـــــ. وقد اتكأ (الزركلي) في ترجمته للشـــاعر. على هذا التعليل، فقال"سُمي بديك الجن لأن عينيه كانتا خضراوين"[2] ا هـ.

والسبب الثالث : ذكرُه الديكَ في شعره .

فقد ورد في كتاب (سرور النفس) : " عبد السلام بنُ رغبانَ ديكُ الجن يرثي ديكاً لأبي عَمْرو عُمير ابن جَعفر، كان لـــــه عنده مدة، فذبحه وعمل عليه دعوة. وبها لقب ديك الجن "[3] ا هـ. ثم يذكر الأبيات ومنها :

دعانا أبو عَمْرٍو عُمَيْرُ بنُ جَعْفَرٍ على لحمِ ديكٍ دعوةً بعد موعدِ

فقـدَّمَ ديكـاً عُـدْ مُليـاً مُلَـدَّحـاً مُبَرْنَسَ أثيابٍ مُؤَذّنَ مَسْـــجدِ

وقد اتكأ الشـــيخ محمد السَّـــماوي، أول جامع لشـــعره، على هذا

---

[1] تاريخ دمشق : ج 42 / 239 .

[2] الأعلام : ج 4 / 128. (الأعلام : خير الدين الزركلي. بيروت، دار العلم للملايين، ط 4، 1979 م).

[3] سرور النفس : ص 116. (سرور النفس بمدارك الحواس الخمس : التيفاشي (أحمد بن يوسف). تح إحسان عباس. بيروت، المؤسسة العربية، 1980 م).

التعليل[1] .

والسبب الرابع : جنونه وتقليده صوت الديك .

وقد ورد هذا السبب في كتاب (نَفْحة اليمن)، في خبر مطول يروي لقاء الخليفة هارون الرشـيد بغلام ذميم ضـعيف البدن يحفظ ثياب رفاقه وهم يلعبون، وكان ينشد شعراً ومنه :

قولي لطَيْفِكِ يَنْثَني عنْ مُقْلَتي عند الهُجوعْ

ويعجب الرشيد بالغلام وشعره. ويسأله تغيير القافية، لأنه شكّ أن يكون الشعر له. فلما غيرها مرتين، سأله عن اسمه، فحمل ثياب رفاقه وصاح : قاق، قاق " فعلم الرشيدُ أنه ديكُ الجِنّ"[2].

وواضـح أن هذه الرواية من صـنع المتأخرين لأنه لم يُعرف عن ديك الجن أنه ضعيف، ذميم، أو مجنون، وما عرف عنه أنه دخل بغداد قطّ .

وباسـتثناء خبر جنونه فإن كل سـبب من الأسـباب الثلاثة المذكورة آنفاً يصلح ليكون تعليلاً مقبولاً لتسميته بهذا اللقب. لأن هذه الأسباب مرتبطة بالشـاعر بشـكل أو بآخر؛ بلون عينيه. أو بما أُثر عنه من خروج

---

[1] مقدمة ديوان ديك الجن (مطلوب والجبوري) : ص 6. وانظر المقطوعة 61 ص 116 من هذا الديوان.

[2] نفحة اليمن : ص 33 – 34. (نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن : الشرواني (أحمد بن محمد الأنصاري). الناشر حسين شرف ومحمد أمين الخانجي. المطبعة الشرفيّة، 1324هـ).

إلى البساتين، أو بما ورد على لسانه في رثاء الديك.

مكوّناته السياسيّة والدينية .

أ – انتماؤه السياسي .

عايش ديكُ الجن العصرَ العباسيَّ الأول، هذا العصر المضطرب الفوّار الذي ظهر على ساحته العديد من الحركات الفكرية والسياسية، والذي يمكن أن نتبيّن فيه بوضوح تيارين سياسيين رئيسين :

الأوّلُ : تيار السلطة الحاكمة الممثَّل ببني العباس، والثاني تيار المعارضة الذي تشعب إلى تيارات متعدّدة، وكان تيار (الشّيعة) المناصرين لآل البيت العلويّ الهاشميّ، وحقهم في الخلافة، أشدَّها بروزا.

كان ديك الجن يقف في الجانب المعارض لبني العباس الذين قوّضوا سلطان الدولة الأموية، باسم بني هاشم ثم دافعوهم عن الخلافة، واستأثروا بها، وكان ديك الجن (متشيّعاً) متشدّداً، مناصراً لآل البيت وحقهم المغتصب في الخلافة.

وكثيراً ما دفعه إخلاصه إلى تجريح (الصّحابة) والتهجّم على مواقفهم من عَلِيٍّ (رضي الله عنه.

ب – موقفه من الدين :

إن تشيّع ديك الجن لا يعني أنه كان إنساناً متديّناً، مطبقاً لما أمر به

الإسلام أو نهى عنه، لقد كان هناك انفصال تامّ بين انتمائه السياسي ومواقفه الدينية. يقول أبوالفرج على لسان ابن أخي ديك الجن : "كان عمّي خَليعاً ماجناً مُعْتكفاً على القصف واللّهو "(1).

والدين يحرّم عليه القصف واللهو؛ يحرّم عليه الزّنى ومطاردة النساء المسلمات والذمِّيات، وملاحقة الغلمان، كما يحرم عليه الخمر. ومن هنا نبع عداؤه للدّين، ونبع صدامه مع مجتمعه وقيمه الأخلاقية المستمدّة من الدين؛ هذا الصدام انتهى به طريداً مشرّداً في بساتين حمص، يمارس لهوه ومجونه بعيداً عن أعين الرقباء المتربّصة به، متوارياً بين غياض العاصي وصفصافه الحاني. إن القراءة الأوليّة السريعة في شعر ديك الجن تبدي لنا مظاهر واضحة لما يمكن أن نسمّيه (رِقَّة الدِّين)، وهذه الرقّة نابعة من التعارض بين فلسفته الحياتيّة القائمة على الإقبال على اللذّات المادية الحسيّة، وبين الدين الصارم الذي نهى عن مثل هذا السلوك الحياتي .

على أن رقّة دينه لم تقف عند مخالفة الدين فيما نهى عنه من مُحرّمات، بل تجاوزت إلى العبادات فلم يعبأ بها..وشكك في اليوم الآخر وما فيه..(2)

وفاته :–

جاء في وفيات الأعيان : "ومولد ديك الجن سنة إحدى وستين ومائة وعاش بضعاً وسبعين سنة ، وتوفي في أيام المتوكل سنة خمس أو ست

---

(1) الأغاني : 14 / 52.

2 _ ينظر مقدمة ديوانه: 39 وما بعدها.

وثلاثين ومائتين"(1) ، فهذا النص يشير إلى الاتفاق حول سنة مولده ، وهي سنة (161هـ) ، بينما جاء الخلاف في سنة وفاته مع الاتفاق حول وفاته في خلافة المتوكل الخليفة العباسي الذي تولى الخلافة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وتوفي سنة سبع وأربعين ومائتين(2) ، وعليه يصح أن تكون وفاته سنة خمس أو ست وثلاثين ومائتين ، وإن رجح محقق الديوان أن تكون وفاته سنة ست وثلاثين ومائتين(3) ، بينما رجح الدكتور شوقي ضيف أن تكون وفاته سنة خمس وثلاثين ومائتين ، وذلك إذ يقول : "وليس من شك في أن أروع أشعاره ما نظمه في بكاء صاحبته ، متفجعا متحسرا نادما كما لم يندم أحد ، وما زال يردد ذلك حتى توفي سنة 235 للهجرة"(4).

---

[1]() وفيات الأعيان 185/3

[2]() الأعلام 127/2

[3]() الديوان ص21

[4]() تاريخ الأدب العربي – العصر العباسي الأول د/ شوقي ضيف ص326 – دار المعارف ط8

المبحث الأول

الطباق في ديوان ديك الجن

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: طباق الإيجاب في ديوان ديك الجن.

المطلب الثاني: طباق السلب في ديوان ديك الجن.

المطلب الثالث: الطباق المسمى تدبيجًا في ديوان ديك الجن.

المطلب الأول: طباق الإيجاب في ديوان ديك الجن.

تمهيد : تعريف الطباق

ويسمَّى: المطابقة ،والتطبيق، والتكافُؤ، والتضاد[1]

الطِّبَاقُ في اللّغة: الطاء والباء والقاف أصلٌ صحيحٌ واحد، وهو يدلُّ على وضع شيء مبسوط على مِثله حتى يُغطِّيَه. من ذلك الطَّبَق. تقول: أطبقْت الشيءَ على الشيء، فالأول طَبَق للثاني؛ وقد تطابَقَا. ومن هذا قولهم: أطبَق الناس على كذا، كأن أقوالهم تساوت حتى لو صُيِّر أحدهما طِبقاً للآخر لصلح."[2] ، ويقال: طابقت بين الشيئين إذا جمعت بينهما على حذو واحد،[3] ويقال: طابق البعير، أي: وضع رجله في موضع يده قال النابغة الجعدي[4]: وخَيْلٍ يُطَابِقْنَ بالدّارِعِيْنَ ... طِباقَ الكِلابِ يَطَأْنَ الهرَاسا[5]

---

[1] ينظر الإيضاح بتعليق البغية للخطيب القزويني (572/4)، وعروس الأفراح على تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي (225/2).

[2] معجم مقاييس اللغة لابن فارس : (طبق)، (344/3).

[3] الكليات لأبي البقاء الكفوي : ص: 1360 .

[4] البيت من المتقارب ينظر الديوان ص 79؛ وجمهرة اللغة لابن دريد ص 359، 724؛ ومقاييس اللغة لابن فارس 3/ 440، 6/ 46؛ ولسان العرب لابن منظور 6/ 247 (هرس)، 10/ 211 (طبق)؛ وتاج العروس للزبيدي 17/ 29 (هرس)؛ والشعر والشعراء لابن قتيبة ص 302

[5] الهراس: مخفَّف: نبت له شوك، الواحدة منه الهَرَاسة. جمهرة اللغة : (رسه)

وفي الاصطلاح:"هي الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة"[6] "والمراد بالمتضادين: المتقابلان فى الجملة، أى سواء أكان التقابل من وجه ما أم من كل وجه، وسواء أكان التقابل حقيقيا أم اعتباريا"[7]

أقسام الطباق: ينقسم الطباق قسمين: طباق الإيجاب وطباق السلب.

---

[6] الإيضاح بتعليق البغية (572/4).

[7] عروس الأفراح على تلخيص المفتاح (225/2، 226).

المطلب الأول: طباق الإيجاب في ديوان ديك الجن.

طباق الإيجاب: وَهُو ما لَمْ يَختَلِفْ فِيهِ الضدَّان إِيجَاباً وَسَلْباً.[1]

وقد جاء طباق الإيجاب في ديوان ديك الجن على ثلاث صور وهي:

أولا: أن يكون الطباق بين اسمين .

من ذلك ما جاء في قوله يمدح آل البيت رضي الله عنهم:[2]

يا صفوةَ[3] اللهِ في خلائِقِهِ ... وأكرمَ الأعجَمِينَ والعرب

فالشاعر في هذا البيت يمدح آل البيت ويعدد مناقبهم ، ويصفهم بأنهم خير خلق الله جميعًا، وأكرم العرب والعجم، وقد استخدم في إبراز هذا

---

[1] البلاغة الواضحة لعلي الجارم ومصطفى أمين ص: ( ).

[2] الديوان : ص33.

[3] الصفوة: نقيض الكدر، وصفوة كل شيء خالصة وخيره (معجم العين 7/ 162).

المعنى فنا من فنون البديع، وهو أسلوب الطباق بين (الأعجمين) وبين (العرب) من طباق الإيجاب؛ للمبالغة في بيان فضلهم وشرفهم بين الخلق.

وقد تكرر هذا الطباق في ديوانه فتراه لما كان يفتخر بقبيلته كلب يقول:[4]

كَلْبٌ قَبِيلِي وَكَلْبٌ خَيْرُ مَن وَلَدَت ... حَوَّاءُ مِن عُرْبٍ ومِن عَجَمِ

ويقول مفتخرًا أيضًا:[5]

وَالخَمْسَةِ الغُرِّ أَصْحَابِ الكِسَاءِ مَعًا ... خَيْرِ البَرِيَّةِ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبِ

والخمسة من آل البيت هم: سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم، والإمام عليّ رضي الله عنه، والسيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها، والحسن والحسين رضي الله عنهما، وقد

كنى الشاعر عنهم في موضعين من ديوانه والآخر في مقام المديح، بقوله:[1]

فَالْحَمْدُ لله عَلَى مَا قَدْ حَبَا ... بِالخَمْسَةِ الأَشْباحِ أَصْحَابِ العَبَا

وقال في أهل البيت متحدثًا عن سيدنا علي رضي الله عنه:[2]

فهوَ القَرينُ له وما افْـ ... ـتَرقا بصَيْفٍ أَوْ شِتَا

---

[4] الديوان: ص (129).

[5] الديوان: ص (157).

[1] الديوان: ص (67).

[2] الديوان: ص(48).

عبر عن دوام ملازمة سيدنا علي للنبي – صلى الله عليه وسلم – وطول صحبته له ، مستخدمًا أسلوب الطباق، فجمع بين الصيف والشتاء، من طباق الإيجاب، فما افترقا أبدا في حر ولا برد، وقد أكد الطباق هذه الملازمة والصحبة الصالحة.

وقال يرثي جعفر بن علي الهاشمي:[3]

أخاً كنتُ أبكيه دماً وهو حاضرٌ ... حَذاراً وتعمى مُقْلَتي وهو غائبُ[4]

الشاعر هنا يبكي جعفر بن علي الهاشمي أحد أصدقائه، فيحكي أنه كانت عينه تبكي دمًا عند حضوره ولقائه به؛ خوفًا من فراقه أو البعد عنه، وكان العمى يصيبها عند غيابه لسفر أو غيره، وقد طابق بين اسمين (حاضر) و(غائب) طباق إيجاب، وقد كشف الطباق عن معاناة الشاعر عند فقد صديقه، فلا ترى عينه شيئًا بعده؛ لأنه بمثابة الضوء الذي ينير له طريقه، ويهديه إلى الحق والخير، فقد كان يراه إمامًا من أئمة الهدى. لذلك رثاه بواحدة من عيون قصائد الرثاء حرارة وصدقاً .وقد تضافر مع الطباق لونا آخر من المحسنات التي كشفت عن معاناة الشاعر وهي المبالغة، فقد بالغ في تعلقه بصديقه لدرجة أنه يبكيه عند لقائه خوفًا من فراقه، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل ذكر أنه لا يبكي دمعًا معروفًا،

---

[3] الديوان: ص (74).

[4] حذارًا: الحِذر والحَذَر: الخيفة (لسان العرب: 175/4)، ومقلة العين: سوادها وبياضها الذي يدور في العين كله.

وإنما يبكي دمًا ؛مبالغة منه في التعلق به.ليس هذا فقط فإذا افتقده لأمر ما كسفر أو غيره، فإن عينه تصاب بالعمى ولا ترى أحدًا بعده، والتعبير بالمقلة عن العين للمبالغة في وصف إصابته بالعمى حزنا على وفاة جعفر؛ لأن إصابة المقلة بالعمى يلزم منه قطعا إصابة العين بالعمى، فالمقلة تمثل مركز الإبصار في العين، ويضاف إلى المبالغة هنا مظهر آخر من مظاهر بلاغة المجاز المرسل عند ديك الجن يكمن في تأجج العاطفة، وقوة الانفعال بالحدث، ألا وهو وفاة رجل من أعز الرجال عليه هو "جعفر بن علي الهاشمي"، وكانت العين هي المترجم الأمين عن هذه العاطفة المتأججة من خلال استبدال الدمع بالدم بكاء عليه، ومن خلال إصابتها بالعمى.

ومن هذا الطباق ما جاء في رثائه جعفر الهاشمي أيضًا:[1]

فَوَ الله إِخْلاصاً مِنَ القَوْلِ صَادِقًا ... وَإِلاَّ فَحُبِّي آلَ أَحْمَدَ كَاذِبُ

الطباق هنا بين اسمين (صادقًا) و(كاذب)، ومن خلاله يقسم الشاعر أنه صادق ومخلص في محبته للمرثي، وإن لم يكن حبه خالصًا له لكان حبه لآل البيت كاذبًا، وقد استخدم الطباق لإظهار صدقه في رثائه، لأن حبه لآل البيت لا شك فيه.

وقال في هجاء أحد أقاربه واسمه أبو الطيب:[2]

---

[1] الديوان: ص (75).

[2] الديوان: ص(78، 79).

مَوْلاتُنا يا غُلامُ مُبْتَكِرَة ... فَباكِرِ الْكأسَ لِي بِلا نَظِرَة

غَدَتْ إِلَى اللهْوِ والمُجُونِ ... عَلَى أَنَّ الفَتاةَ الحَيِيَّةَ الخَفِرَة[3]

لِحُبِّهَا لاعج وبي حُرَقٌ ..... مَطْوِيَّةٌ فِي الحَشَا ومُنْتَشِرَة[4]

في هذه القصيدة يفتتحها الشاعر بالغزل جريًا على عادة الشعراء ، ويظهر رغبته في المجون وشرب الخمر، فينادي على غلامه لكي يعجل بإحضار الخمر حتى يدرك الشرب مع محبوبته التي تنوي السفر، وهي شديدة الحياء ولحُبها لوعةٌ مطوية ومنتشرة في قلبي وأحشائي، وقد جاء الطباق مؤكدا لوعته وحرقته (المطوية) و(المنتشرة) ،وهو طباق إيجاب بين اسمين، أي أن هذه اللذعة التي عندي من فرط حبي لها بعضها خفيّ وبعضها ظاهر؛ لتأكيد حبه لها.

ويستمر ديك الجن في هجاء ابن عمه ويختم قصيدته بقوله:[1]

سُبحانَ مَنْ يُمْسِكَ السَّماءَ على الـ ... أَرْضِ وفيها أَخْلاقُكَ القَذِرَهْ

---

[3] الخفرة: وصف من الخفر- بالتحريك – وهو شدة الحياء (لسان العرب (خفر) 253/4).

[4] اللاعج: الهوى المحرق، يقال: هوى لاعج لحرقة الفؤاد من الحب. (لسان العرب: (لعج) ،والحرقة: ما يجده الإنسان من لذعة حب أو حزن أو طعم شيء فيه حرارة. (لسان العرب: (حرق)

[1] الديوان: ص(84).

وفيه يتعجب الشاعر من إمساك الله – عز وجل – السماء أن تقع على الأرض، وفي الأرض مثل أخلاق أبي الطيب القذرة، وفيه طباق بين اسمين (السماء) و(الأرض).

ومن هذا النوع ما جاء في رثائه لزوجته وإظهار ندمه على قتله لها:[2]

أَشْفَقْتُ أنْ يَرِدَ الزمانُ بِغَدْرِهِ ... أَوْ أُبْتَلَى بَعْدَ الوِصَالِ بِهَجْرِهِ

في هذا البيت يظهر ندمه وتحسره وخوفه من معاناة آلام الفراق لزوجته، فهو يخاف من غدر الزمان، أو يبتلى بالهجر بعد الوصال، وقد طابق بين اسمين (الوصال) و(الهجر)، وهو يظهر بُعد الحالين عنده، ويظهر عظم خوفه من الهجر بعد سعادته بالوصال.

ومن هذا النوع ما قاله في النساء :[3]

أَخَا الرَّأْيِ وَالتدبِيرِ لَا تَرْكَبِ الهوَى ... فَإِنَّ الهوَى يُرْدِيكَ مِنْ حَيْثُ لَا تَدْرِي[4]

وَلَا تَثِقَنْ بِالغَانِيَاتِ وَإِنْ وَفَتْ ... وَفَاءُ الغَوَانِي بِالعُهُودِ مِنَ الغَدْرِ[5]

---

[2] الديوان: ص(92).

[3] الديوان: ص(115).

[4] يردي: يسقط ويهلك .(لسان العرب: (ردى)

[5] الغانيات: جمع الغانية، وهي المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة. لسان العرب: (غنى).

بالتأمل في حديث الشاعر عن المرأة من خلال ديوانه يظهر أن له رأيًا في المرأة، وهي أنها لا تصلح إلا للشهوة واللذة، أما أن يكون لها رأي وعقل وفكر فهو ينكره، بل إنه يصفها بالخيانة ونقض العهد والتبذل للرجال، وقد استخدم الطباق وسيلة من وسائل الكشف عما أراد من معانٍ في المرأة، فجاء الطباق بين (وفاء)، وبين (الغدر)، وهو طباق بين لفظين من نوع واحد (اسمان) يحذر من خلاله الرجال بألا ينساقوا وراء الحب؛ لأن وفاءهن هو الغدر عينه.

ثانيًا: أن يكون الطباق بين فعلين:

جاء الطباق في ديوان ديك الجن بين لفظين من نوعٍ واحد ، وهما فعلان، ومن ذلك ما قاله في رثاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والحسين – عليهما السلام– :[1]

أَنْسَى عَلِيّاً وتَفْنيدُ الغُواةِ لَهُ ... وفي غَدٍ يُعْرَفُ الأَفّاكُ والأَشِرُ

مَنْ ذَا الذي كَلَّمَتْهُ البِيدُ والشَّجَرُ ... وسَلَّمَ التُّربُ إذْ ناداهُ والحَجَرُ

حتّى إذا أَبْصَرَ الأَحياءُ مِنْ يَمَنٍ ... بُرْهَانَهُ آمَنُوا مِنْ بَعْدِمَا كَفَروا

في هذه الأبيات يتحدث عن سيدنا علي بن أبي طالب وما لاقاه من أهل الإفك والشر، وقد تضامن معه كل شيء في الطبيعة من صحراء وشجر وتراب وحجر، حتى أدرك الناس صِدْقه، فآمنوا بعد ما كفروا به من قبل،وقد جاء الطباق في البيت الأخير بين فعلين(آمنوا) و(كفروا) وقد كشف الطباق عن حالين مختلفين، حال الإيمان به بعد حال الكفر.

وقال يمدح عليًّا رضي الله عنه:[2]

أَصْبَحْتُ جَمَّ بَلابِلِ الصَّدرِ ... وأَبِيتُ مُنْطَوياً على الجَمْرِ[3]

إنْ بُحْتُ يوماً طُلَّ فيهِ دَمِي ... ولَئِنْ كَتَمْتُ يَضِقْ بِهِ صَدْرِي[4]

---

[1] الديوان: ص (44).

[2] الديوان: ص (49).

[3] الجم: الكثير لسان العرب: (جمم)، والبلابل:جمع بَلبلة وهي شدة الهم والوساوس.لسان العرب: (بلل)

[4] طل دمي: هُدر ولم يثأر به، ولم تؤخذ ديته.

يتحدث الشاعر عن معاناته مع سيدنا علي – رضي الله عنه – وما لاقاه من ظلم –على حد زعمه – فيقول: إني أصبح كل يوم كثير الهم والوساوس، وأبيت كل ليلة ونفسي تتألم كمن يبيت على جمرٍ موقد، وإن أظهرت ما في نفسي وتكلمت بما أردت هُدر دمي وقُتلتُ، ولئن كتمت ولم أتكلم تتألم نفسي ويضيق صدري.

وقد جاء الطباق بين الفعلين في البيت الأول بين (أصبحتُ) و(أبيتُ) وفي البيت الثاني بين (بُحتُ) و(كتمتُ)، وقد كشف الطباق عن معاناة الشاعر وما حل به من تناقض بين حالين أحلاهما مر، ومؤكدًا شدة عذابه في كل حال حين يصبح وحين يمسي، وحين يبوح ويتكلم وحين يكتم ما في نفسه.

وقال في هجاء بكر:[1]

شَغَلَ الزَّمَانُ كَرَاكَ فِي دِيوَانِهِ ... فَتَفَرَّغَتْ لِدَوَاتِكَ الأَقْلامُ [2]

يقول: إن الزمان قد تسلط عليه فشغله بالسكر والنوم؛ ليتفرغ العابثون لفعل الفاحشة به، وكنى بالدواة والأقلام عما يستقبح ذكره،وقد جاء الطباق في هذا لبيت بين فعلين (شغل) و(تفرغتْ)وقد لجأ الشاعر إلى المحسن البديعي لتجديد الصورة الكنائية في البيت، وزاد من حسنها

---

[1] الديوان: ص(104).

[2] الكرى: النوم والنعاس (لسان العرب ج 15 ص 221)

وجمالها، حتى أظهر بكرا في هذه الصورة القبيحة، وكشف عما حل به من الزمان ومن العابثين حوله.

ومن هذا الطباق ما جاء في قوله عن الخصب والنماء:[3]

هُوَ عَارِضٌ زَجِلٌ فَمَنْ شَاءَ الْحَيَا ... أَرْضَى وَمَنْ شَاءَ الصَّوَاعِقَ أَغْضَبَا[4]

يقول: لقد سدّ الأفقَ هذا السحابُ الماطر فكان في ظهوره رضىً لمن يرجو خيره ومطره وغضبٌ لمن لا يطيق أصوات رعده وبريق صواعقه، وقد طابق بين فعلين الأول (أرضى) والثاني(أغضبا) طباق إيجاب وقد أظهر الطباق المعنى وحسنه، فالذي ينظر إلى الخير الوفير الذي يعقب نزول المطر سيرضى به، وأما من يزعجه صوت الرعد فسيغضب من نزول المطر.

وقال يتغزل:[1]

ومعدولةٍ مهما أمالت إزارها..... فغصن، وَأَمَّا قَدَّهَا فَقَضِيبُ[2]

لَهَا القَمَرُ السَّارِي شَقِيقٌ وَإِنَّهَا ... لَتَطْلُعُ أَحْيَاناً لَهُ فَيَغِيبُ

---

[3] الديوان: ص (150).

[4] العَارِضُ: السَّحَابُ المُعْتَرِضُ في الأُفُق. الزَّجَل: الجلبة ورفع الصوت. الحَيا مقصور: الخِصْبُ والمطر.لسان العرب(عرض، زجل، حيا)

[1] الديوان: ص(55).

[2] القضيب: واحد القضبان، وهي الأغصان (الصحاح للجوهري ج 1 ص 203)

الشاعر يتغزل بمفاتن محبوبته، ويصف قوامها الممشوق المعتدل اللين، ويشبه وجهها بالقمر في البيت الثاني، وهو تشبيه ضمني بديع، جعل منه المحبوبة تفوق القمر جمالا وبهاءً وضياءً، فإذا ظهرت هي غاب القمر، حياءً من جمالها الذي فاق جماله وقد جاء الطباق معبرًا عن هذا الحال، فطابق بين لفظين من نوع واحد وهما فعلان (تطلع) و (يغيب) طباق إيجاب، مما أفاد المبالغة في فضل محبوبته على القمر، وقد جاء الطباق غير متكلف فزاد من روعة وجمال الصورة التشبيهية ، وقد شارك الطباق في إبراز المعنى وتحسينه ما في الأبيات من (لزوم ما لا يلزم)[3]، حيث التزم الشاعر بالياء قبل قافية البيت في جميع أبيات القصيدة، وبذلك تتضافر الفنون البديعية مع الصورة البيانية في الكشف عن المعنى، فيكون الأسلوب أكثر تأثيرًا، وأبعد عمقًا.

ومنه ما قاله في ورد:[4]

مَنْ نامَ لَمْ يَدْرِ طَالَ النَّوْمُ أَمْ قَصُرَا ... لا يَعْرِفُ اللَّيلَ إلاّ عاشِقٌ سَهِرَا

يتحدث الشاعر عن قيمة الليل وجماله للعشاق الذين يسهرون فيه يفكرون في محبوباتهم، ويقول: إن العاقل الذي لا يعشق لا يشعر بالليل

---

[3] لزوم ما لا يلزم: هو أن يجيء قبل حرف الروي وما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم في مذهب السجع. ينظر الإيضاح (663/4).

[4] الديوان: ص(169).

ولا بما فيه من جمال ، وقد استخدم طباق الإيجاب في الكشف عما أراد فطابق بين فعلين(طال) و(قصر).

ومن هذا النوع ما جاء في قوله وقد عاد رسوله بمكروه:[1]

أَبْطَا الرَّسُولُ فَظِلْتُ أَنْتظِرُ ... لَا النومُ يأْخُذُنِي وَلَا السَّهَرُ

رَدَّ الجَوَابَ بِكُلِّ مُعْضِلَةٍ ... أَنْ شَمَّرُوا لِلْهَجْرِ وَاتَّزَرُوا

فالشاعر هنا ينتظر رد رسوله على ما أرسله به للأحبة، فلما أبطأ عليه في الرد ظل في حيرة واضطراب من أمره، وهو ما عبر عنه بقوله: "لا النوم يأخذني ولا السهر"، فلا هو يستطيع أن ينام، ولا هو قادر على السهر، وهذا يلزم منه القلق والاضطراب، فلما رد الرسول جاء الجواب على خلاف رغبته ومراده مما أصابه بالألم العظيم، وقد كان الجواب أنهم استعدوا للهجر والبعد عنه، وقد كنى عن ذلك بقوله:" أَنْ شَمَّرُوا لِلْهَجْرِ وَاتَّزَرُوا" وقد استخدم فيها لونا من ألوان البديع وهو الطباق بين الفعلين (شمّروا) و(اتَّزَرُوا)، وهو ما يكشف عن إبراز استعدادهم وتهيؤهم للهجر، ونلاحظ أن الكناية امتزجت بالطباق امتزاجا تاما يصعب الفصل بينهما ، مما يؤكد أنه جاء غير متكلف، وأنه أصل يختل المعنى بزواله.

ومن هذا النوع ما جاء في قوله عن الورد:[2]

لِلْوَرْدِ حُسْنٌ وَإِشْرَاقٌ إِذَا نَظَرَتْ ... إِلَيْهِ عَيْنُ مُحِبٍّ هَاجَهُ الطَّرَبُ

---

[1] الديوان: ص(172، 173).

[2] الديوان: ص(152).

خَافَ المَلَالَ إِذَا دَامَتْ إِقَامَتُهُ ... فَصَارَ يَظْهَرُ حِينًا ثُمَّ يَحْتَجِبُ

الشاعر هنا يتحدث عن الورد ويصفه بأن له حسنًا وإشراقا يجذب الأنظار ويخلب الألباب، إذا نظر إليه أحد اهتز من الفرح والطرب، ولشدة حسنه وجماله مثّل الورد بإنسان يخاف الملل من طول المكث والإقامة، على سبيل الاستعارة المكنية، فصار يظهر ويختفي حتى لا يمله الناس، وهذا هو حال الورد تراه في الصباح متفتحًا يبعث البهجة والسرور والمتعة، ثم يحتجب عن العيون في المساء .

وقد طابق الشاعر بين فعلين في البيت الثاني(يظهر) و(يحتجب)؛ ليرفع من قيمة الصورة البيانية التي شبه فيها الورد بإنسان، فأضفى عليه بعدًا حركيًّا عاليا بالطباق، حيث تخلص من خوف الشعور بالملل بالظهور مرة والاحتجاب مرة أخرى، وهو من حسن التعليل.

وبالتأمل في قول الشاعر أيضًا يتبين لنا لونًا من البديع يسمى بإيهام التضاد بين (الطرب) و(الملال) ، فليس بين الطرب والملال تضاد ولكن بين معنييهما، فالطرب معناه الخفة والاهتزازمن الفرح، والملال معناه السأم والضجر من الحزن.

ثالثًا: أن يكون الطباق بين اسم وفعل

اختلاف اللفظين في طباق الإيجاب ورد أيضًا في ديوان ديك الجن ، فكان أحدهما اسمًا والآخر فعلاً.

ومنه ما جاء في قوله في سيدنا علي بن أبي طالب:[1]

ثَبْتٌ إِذَا قَدَمَا سِوَا ... هُ فِي المَهَاوِي زَلَّتَا

الشاعر يتحدث عن سيدنا علي بن أبي طالب– رضي الله عنه–، ويخصه بالمديح، ويشير إلى قوته، وسلامة منطقه، فهو ثابت راسخ إذا ما زلّ الآخرون وانهاروا، وقد جاء الطباق بين لفظين من نوعين مختلفين اسم وفعل، الأول اسم وهو (ثَبْتٌ) والثاني فعل (زلّتا)، وقد كشف الطباق عن اختلاف سيدنا على عن غيره، وأشار إلى قوته وثباته ورسوخه أمام الصعاب، وضعف الآخرين الذين انساقوا وراء أهوائهم،وحملتهم أقدامهم في طرقات الضلال والغي.

---

[1] الديوان: ص(47).

وقال فيه أيضًا يمدحه:

وَمِنْ بَأْسِهِ فُتِحَتْ خَيْبَرٌ ... وَلَمْ يُنْجِهَا بَابُهَا الْمُقْفَلُ

ما زال الشاعر يتحدث عن قوة سيدنا علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وشدة بأسه وشجاعته وجهاده، وإقدامه في الحروب، وهو هنا يشير إلى دوره البارز والواضح في غزوة خيبر، فهي قد فُتحت على يديه، ولم يمنع من ذلك أسوارها العالية ولا أبوابها المغلقة، وقد عبر عن ذلك باستخدام فنا بديعيا ، هو الطباق بين (فُتحت) وهو فعل، وبين (المقفل) وهو اسم، وقد كشف الطباق عن شجاعة سيدنا علي وقوة بأسه.

وقال في الشيب والهرم:[1]نَهْنَهَتِ الخَمْسونَ مِنْ شِدَّتي ... وَضَيَّقَتْ خَطْوِيَ بَعْدَ اتِّساعْ[2]

في هذا البيت يعبر الشاعر عن بلوغه الخمسين من عمره، وأنها أثرت فيه حتى زجرته ، وجعلت حركته بطيئة، بعد أن كان يمرح، ويتحرك سريعًا، وقد جاء الطباق معبرا عن حاله ، ومصورًا التحول الذي حل به ، فطابق بين الفعل (ضيَّقتْ) وبين الاسم (اتساع) طباق إيجاب، مؤكدا حال الضعف والمرض بعد القوة والصحة.

---

[1] الديوان: ص(128).

[2] نهنهت: كففت وزجرت ينظر:لسان العرب: (نهنه)، والخمسون: إشارة إلى بلوغه الخمسين من عمره.

وقال في رثاء ولده:[3]

بأبي بذلتُكَ بعدَ صونٍ للبِلى ... ورجعتُ عنكَ صبرتُ أمْ لَمْ أصبر

يقول عن ابنه الذي رثاه: إنه جاد به وتركه بعد أن كان عنده في بيته يصونه ويحفظه ويخاف عليه، ولكن لا سبيل أمامه إلا الفراق مع ألمه الشديد سواء صبر أم لم يصبر.

والطباق هنا بين الفعل (بذل)؛ لأنه بمعنى جاد به عن طيب نفس، وبين الاسم (صون)؛ لأن الصون هو الحفظ في مكان أمين،وفيه صورة معبرة عن إيمانه بفقد ولده ،وقد تضافر مع طباق الإيجاب هنا طباق السلب بين (صبرت) و(لم أصبر)،في الكشف عن معاناة الشاعر وإظهار إدراكه للمصيبة التي حلت به .

ومن هذه الصورة ما جاء في رثاء أبي تمام الطائي:[4]

فُجِعَ القَرِيضُ بِخَاتَمِ الشُّعَراءِ ... وَغَدِيرِ رَوْضَتِهَا حَبِيبِ الطَّائِي

مَاتَا مَعًا فَتَجَاوَرَا فِي حُفْرَةٍ ... وَكَذَاكَ كَانَا قَبْلُ فِي الأَحْيَاءِ

هنا يرثي الشاعر أبا تمام، ويصور القريض إنسانا فجع لموته، وقد جعله خاتم الشعراء، فلن يأتي بعده شاعر يضاهيه أويقترب من شاعريته، كما شبهه بغدير الروضة الغناء الذي يسقيها،ولشدة وقع الخبر على الشعر لم يحتمل الصدمة، فمات معه، وجاوره في قبره، كما جاوره في حياته.

---

[3] الديوان: ص(144).

[4] الديوان: ص(147).

والطباق هنا بين (ماتا) وهو فعل، وبين (الأحياء) وهو اسم، وقد تضافر الطباق مع الصورة البيانية في إظهار فضل أبي تمام على سائر الشعراء،حتى أنه قد انتهى الشعر بمماته.

المطلب الثاني: طباق السلب في ديوان ديك الجن

المطلب الثاني: طباق السلب في ديوان ديك الجن

طباق السلب: هو الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي، أو أمر ونهي.[1] كقوله تعالى:"وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا"[2]، وقوله:" فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ"[3]

وقد جاء طباق السلب في ديوان ديك الجن، من ذلك ما جاء في قوله يمدح آل البيت:[4]

لا تَبْعَدُوا يا بَنِي النَّبِيِّ على ... أَنْ قَدْ بَعُدْتُمْ والدَّهْرُ ذُو نُوَب[5]

---

[1] ينظر: الإيضاح (575/4).

[2] الروم:[6، 7].

[3] المائدة: [44].

[4] الديوان: (32).

[5] النوب: المصائب.ينظر لسان العرب: (نوب).

يتحدث الشاعر عن آل البيت، ويدعو الله – تعالى – أن يبقيه بجوارهم، حتى يستطيع التغلب على مصائب الدهر، وقد جاء الطباق بين (لا تبعدوا) وبين (بعدتم) طباق سلب، فالأول فيه نهي والثاني مثبت.

ومن طباق السلب في الديوان ما جاء في نفس القصيدة:[6]

غَدَا عَلِيٌّ وَرُبَّ مُنْقَلَبٍ ... أَشْأَمَ قَدْ عَادَ غَيْرَ مُنْقَلَبِ

فَاغْتَرَّهُ السَّيْفُ وَهوَ خَادِمُهُ ... مَتَى يُهِبْ فِي الوَغَى بِهِ يُجِبِ

يتحدث الشاعر عن سيدنا عليّ، ويصف شجاعته وبسالته ومهارته في الحروب، حتى أصبح السيف من خُدّامه – عليه السلام– والطباق في البيت الأول بين (منقلب) و(غير منقلب) الكلمة ونفيها، مما ساعد عل إظهار المعنى وتحسينه، وقد تضافر الطباق مع لون بديعي آخر وهو (ردّ العجز على الصدر)[1] في البيت الأول، فقد جاء اللفظ الأول في الطباق (منقلب) في آخر الشطر الأول من البيت، ثم جاء اللفظ الثاني في طباق السلب في آخر الشطر الثاني من نفس البيت، مما حسن المعنى وأظهره في صورة فنية رائعة .

---

[6] الديوان: (36).

[1] رد العجز على الصدر: هو في الشعر أن يُجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في آخر البيت، والآخر في صدر المصراع الأول، أو حشوه، أو آخره، أو صدر الثاني. ينظر الإيضاح بتصرف (649/4).

وتلاقى الفن البديعي مع الصورة البيانية في البيت الثاني الذي عبر فيه بالكناية عن شدة مهارة سيدنا عليّ، بجعل السيف خادمًا له– رضي الله عنه – فكون السيف خادما له يلزم منه شدة المهارة في فنون القتال إلى حد أنه متى أمره بفعل أي شئ من مهارات القتال وفنونه استجاب له على الفور.

ومنه ما جاء في رثاء فاطمة الزهراء – رضي الله عنها– :[2]

يا قبرَ فاطمةَ الذي ما مثلُهُ ... قبرٌ بِطَيْبَةَ طابَ فيهِ مَبِيتَا

إِذْ فيك حَلَّتْ بِضْعَةُ الهَادي التي ... تُجْلَى مَحَاسِنُ وَجْهِهَا حُلِّيتَ[3]

إنْ تنأَ عنهُ فما نَأَيْتَ تَبَاعُداً ... أوْ لمْ تَبِنْ بَدْراً فَمَا أخفيتا[4]

الشاعر ينادي على قبر فاطمة الزهراء ويقول له: ليس هناك قبر مثلك في المدينة كلها يطيب فيه المبيت، فقد طِبتَ بحلول بضعة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأحب الناس إلى قلبه، وإنك قد حويت بدرًا بداخلك، وهو يريد تشبيه السيدة فاطمة بالبدر في الحسن والجمال، وقد عبر أيضًا عن ذلك بأسلوب الطباق الذي ساعد على إظهار المعنى وتزيينه، فقد طابق بين (تنأ) فعل مثبت، والفعل المنفي (فما نأيتَ) طباق سلب.

---

[2] الديوان: ص(55).

[3] بضعة: فلان بضعة من فلان: يُذهب به إلى الشبه .(لسان العرب: بضع)

[4] بان الشيء وأبان: إذا اتضح وانكشف.(مقاييس اللغة 1/ 328).

وقال يعزي جعفر بن علي الهاشمي عن زوجته:[1]

نَغْفُلُ والأَيَّامُ لا تَغْفُلُ ... وَلَا لَنَا فِي زَمَنٍ مَوْئِلُ[2]

يفتتح قصيدته بحقيقة أن الناس دائمًا يعيشون في غفلة، ولكن الأيام لا تغفل عنهم، فهي دائما في انتظار الموعد الذي تقضى فيه آجال الناس، وليس للناس ملجأ منها، وقد جاء الطباق ملخصا لهذه الفكرة ومعبرًا عنا أدق تعبير حيث ذكر فعلا مثبتًا (نغفل) ثم ذكر بعده المنفي فقال: (لا تغفل)، وهذا مما يؤكد الحقيقة التي أرادها الشاعر من غفلة الناس دون غفلة الأيام.

وقال في نفس القصيدة:[3]

والدهرُ لا يَحْجُبُهُ مانِعٌ ... يَحجُبهُ العامِلُ والمُنْصُلُ[4]

يقول الشاعر: إن نوائب الدهر لا يمنعها أحد، بل تنال الجميع، حتى السيد حين يكون في عزةٍ ومنَعةٍ من عشيرته، ومعه من الرماح والسيوف ما يحميهم فلن يسلم من نوائب الدهر، وقد جاء طباق السلب معبرًا عن هذا المعنى بين (لا يحجبه) و(يحجبه).

---

[1] الديوان: ص(65).

[2] الموئل: الملجأ . الصحاح للجوهري (وأل).

[3] الديوان: ص(65).

[4] المانع: ذو منعة متحصن، وعامل الرمح وعاملته: صدره، والمنصل: السيف. ينظر معجم العين: (124/7)، و هامش الديوان: ص 67 ط/

وقال في امتلاء الساقين وضمور الخصر:[5]

فَلَمْ يُظْهِرْ لَهَا الْخَلْخَالُ سِرًّا ... وَلَكنْ أَظْهَرَ السِّرَّ الوشَاحُ

الشاعر هنا يكني عن صفتين من صفات الحسن والجمال عند المرأة، الأولى هي امتلاء الساقين، وهي المقصودة بقوله:" فَلَمْ يُظْهِرْ لَهَا الْخَلْخَالُ سِرًّا"، أي أن الخلخال لم يسمع له صوت في ساقيها؛ لأنه محكم حولهما، فليس هناك فراغ بين الساق وبين الخلخال يسمح باهتزاز الخلخال حتى يسمع صوته، والشطر الثاني كناية عن ضمور الخصر، فالثوب إذا كان فضفاضا فإنه لا يظهر تفاصيل جسد المرأة، أما إذا تحزمت المرأة بالوشاح حول خصرها فإنه يظهر ضمور الخصر أو امتلائه، وهذه المرأة التي يتغزل فيها الشاعر لما تحزّمت بالوشاح حول خصرها أظهر الوشاح ما كانت تخفيه وتستره من ضمور الخصر وجمال القدّ، وهما من صفات الجمال عند النساء"[1]

وقد زين هذه الصورة البيانية في كل شطر المجيء بالمحسن البديعي طباق السلب بينهما، وهو بين (فلم يظهر) في الشطر الأول، وبين (أظهر) في الشط الثاني، مما ساعد في الكشف عن جمال هذه المرأة وحسن

---

[5] الديوان: ص(162).

[1] ينظر الصورة البيانية في شعر ديك الجن الحمصي دراسة بلاغية نقدية للباحث / حسين علي عبد العزيز ص:(588، 589).

صفاتها، وبذلك تتضافر الفنون البديعية وتتداخل مع غيرها في التعبير عن المعنى المراد ،وتحقيق الغاية المرجوة، فقد أظهر الطباقُ المعنى وقوّاه.

وقال في التعبير عن قلقه واضطرابه:[2]

لَا بِتُّ إِخْوَانِي وَلَا بِتُّمُ ... بِلَيْلَةٍ بِتُّ بِها البَارِحَهْ

لَمْ يَبْقَ لِي فِي مَنْزِلِي بُقْعَةٌ ... إِلَّا وَفِيهَا لُجَّةٌ سَابِحَهْ

يعبر الشاعر هنا عن قلقه واضطرابه في ليلة شديدة القلق، حتى إن القلق لم يعد مقصورًا على نفسه فحسب، بل انتقل إلى كل بقعة في بيته، فصار يشبه البحر الذي تتلاطم أمواجه ، تأخذه بشده ذاهبة به إلى المجهول، وقد استخدم في البيت الأول لونا من ألوان المحسنات البديعية، وهو طباق السلب بين (لا بتُّ) و(بتُّ)؛ لتأكيد مدى الاضطراب والمعاناة التي عايشها في تلك الليلة، والتي لا يتمناها لأحد من إخوانه، وهذه مبالغة منه عما وصل إليه من القلق والاضطراب.

وقال في وصف حمائم:[1]

حَمَائِمُ وُرْقٌ فِي حِمَى وَرَقٍ خُضْرِ ... لَهَا مُقَلٌ تُجْرِي الدُّمُوعَ وَلَا تَجْرِي

يتحدث ديك الجن هنا عن براءة عيون الحمائم وقسوة قلوبها، فهي تملك عيونا جميلة تجعل من ينظر إليها يبكي إعجابًا بها، وهي لا تلقي لذلك بالًا، وقد عبر الشاعر عن جمال العيون وقسوتها بأكثر من طريق ، فذكر

---

[2] الديوان: ص(163).

[1] الديوان: ص(167).

فنا بديعيا هو طباق السلب بين (تُجرِي) و(لا تجري)، الأول مثبت والثاني منفي، فأكد المعنى وأظهره في الصورة التي أرادها الشاعر ، وقد تداخل الطباق مع صورة بيانية عبرت عن هذا المعنى وصورته أدق تصوير، فالتركيب (لَهَا مُقَلٌ تُجْرِي الدُّمُوعَ وَلَا تَجْرِي) كناية عن جمال العيون وقسوتها، وجاء الطباق جزءًا رئيسًا قامت عليه الصورة الكنائية، فهذه الحمائم لها عيون تُجري دموع الناظرين إليها ، ولا تَجري هي، وقد امتزج الطباق بالكناية حتى إنه يصعب الفصل بينهما.

وهذا ما يؤكد أن الفنون البديعية ليست لمجرد التحسين والتزيين اللفظي أو المعنوي فقط، وإنما هي" أصل برأسه يختل المعنى بزواله، ويتأثر الأسلوب باختلاله"[2]

---

[2] البديع في ضوء أساليب القرآن د عبد الفتاح لاشين ص:(30)

المطلب الثالث: الطباق المُسمى تدبيجًا في ديوان ديك الجن

المطلب الثالث: الطباق المُسمى تدبيجًا في ديوان ديك الجن

التدبيج في اللغة : من الدَّبْجُ النَّقْشُ والتزيين فارسي معرب ودَبَجَ الأَرضَ المطرُ يَدْبُجُها دَبْجاً رَوَّضَها والدِّيباجُ ضَرْبٌ من الثياب المزين"[1]

---

[1] لسان العرب : (دبج).

وفي الاصطلاح: هو أن يُذكر في معنى من المدح أو غيره ألوان لقصد الكناية أو التورية"[2]

وقد جاء مثل هذا اللون في ديوان ديك الجن، فمن ذلك ما جاء في قوله في رمح عليّ بن أبي طالب – رضي الله عنه –:[3]

وَرُبَّ مُقْوَرَّةٍ مُلَمْلَمَةٍ ... فِي عَارِضٍ لِلْحِمَامِ مُنْسَكِبِ[4]

فَلَلْتَ أَرْجَاءَهَا وَجَحْفَلَهَا ... بِذِي صِقَالٍ كَوَامِضِ الشُّهُبِ[5]

أَوْ أَسْمَرِ الصَّدْرِ أَصْفَرٍ أَزْرَقِ الرَّأْ... سِ وَإِنْ كَانَ أَحْمَرَ الْحَلَبِ

الشاعر هنا يتحدث عن شجاعة سيدنا علي بن أبي طالب، وإقدامه في الحروب، فيقول: إنه وحده قادر على قتال كتيبة كاملة مهما بلغ عددها وقوتها، ويستطيع هزيمتها بسيفه المجلوّ اللامع الذي يشبه في لمعانه النجوم

---

[2] ينظر: الإيضاح (578/4)، وعروس الأفراح على تلخيص المفتاح للسبكي: (229/2).

[3] الديوان: ص(39).

[4] المقور من الخيل: الضامر. ينظر لسان العرب: (124/5)، ململمة: كتيبة ململمة ومملومة أيضًا أي: مجتمعة مضموم بعضها إلى بعض. ينظر الصحاح: 2032/5، والعارض: السحابة التي تراها في ناحية من السماء. لسان العرب: (عرض)، الحمام: قضاء الموت. العين: (33/3).

[5] فللت الجيش: هزمته .(الصحاح: 1793/5)،وجحفلها: جيش كثير. (العين: 3/ 328)، وصقال: صقل السيف: أي جلاه.(الصحاح: 5/ 1744)، وامض الشهب: أي لمعان النجوم السبعة المعروفة بالدراري.(تاج العروس: 167/3).

السبعة ، أو يهزمهم برمح أسمر الصدر، أزرق الرأس، يتقاطر دمًا من كثرة قتاله الأعداء.

والشاهد في هذه الأبيات هو التقابل بين أسمر وأصفر وأزرق وأحمر، فشاعرنا قد كنى عن الرمح معتمدًا على الألوان في كل جزء فيه، كاللون الأسمر والأصفر في صدر الرمح، وأزرق الرأس، وأحمر الحلب كناية عن تقاطر الدماء على رأسه من كثرة قتله الأعداء، وهذه الصورة بما فيها من ألوان إنما هي جزء من كناية الشاعر عن شجاعة سيدنا عليّ وإقدامه في الحرب.

ومن التدبيج عند ديك الجن ما جاء في مديحه:[1]

وَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَرَى المَوْتَ فِي صُو.. . رَةِ لَيْثٍ فِي لِبْدَتَيْ رِئْبَالِ[2]

فَالْقَهُ غَيْرَ أَنَّمَا لِبْدَتَاهُ ... أَبْيَضٌ صَارِمٌ وَأَسْمَرُ عَالِ[3]

تَلْقَ لَيْثًا قَدْ قَلَّصَتْ شَفَتَاهُ ... فَيُرَى ضَاحِكًا لِعُبْسِ الصِّيالِ[4]

---

[1] الديوان: ص(125).

[2] اللبدة: الشعر المجتمع فوق كتفي الأسد.(لسان العرب: لبد)، والرئبال: من أسماء الأسد والذئب. لسان العرب: (رأبل).

[3] الأبيض: السيف. لسان العرب (128/7) ، والأسمر: الرمح. لسان لعرب: (رمح).

[4] قلصت شفته: انزوت علوا. (أساس البلاغة: 2/ 97)، وعبس: عبس يعبس عبسًا وعبَّس: قطَّب ما بين عينيه. (لسان العرب: عبس)، والصيال: صال الأسد صولا: يصف بأسه .(العين: 7/ 157).

يقول الشاعر: إن هذا الممدوح لفرط شجاعته وقوة بأسه ترى الموت متمثلا في صورته، وهي صورة ليث شديد القوة، وكأن لبدتيه سيف صارم ورمح قاتل لأعدائه،

وهو لفرط شجاعته يصول ويجول في ميدان المعركة، وينازل الأعداء وهو مبتسم.

والشاهد هنا هو التقابل بين (أبيض) و(أسمر)، والأول كناية عن السيف، والثاني كناية عن الرمح، وهذه الصورة الكنائية التي تشتمل على التقابل بين الألوان، إنما تفيد المبالغة في شجاعة الممدوح.

ومن التدبيج أيضًا ما جاء في قوله في ورد:[1]

انْظُرْ إِلَى شَمْسِ القُصورِ وَبَدْرِهَا ... وَإِلَى خُزامَاها وَبَهْجَةِ زَهْرِهَا[2]

لَمْ تَبْلُ عَيْنُكَ أَبْيضاً فِي أَسْوَدٍ ... جَمَعَ الجَمَالَ كَوَجْهِهَا فِي شَعْرِهَا[3]

---

[1] الديوان: ص(168).

[2] الخزامى: نبت طيب الرائحة، واحدته خزاماه. 0 لسان العرب: خزم.

[3] تبل: من قولك: بلي الإنسان وابتلى: إذا امتحن. (العين : 340/8).

الشاعر يتغزل في محبوبته ورد، ويشبهها بالشمس والبدر، ويشبه طيب رائحتها برائحة الخزامى، ووجها باللون الأبيض، وشعرها باللون الأسود، فاجتمع فيها ألوان الجمال، كما قال الشاعر:[4]

الوَجْهُ مِثْل الصُّبْحِ مبْيَضٌّ ... وَالشَّعْرُ مِثْل اللَّيْلِ مسْوَدُّ

ضِدَّانِ لَمَّا اسْتَجْمَعَا حَسُنَا ... وَالضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَه الضِّدُّ

والشاهد في التقابل في البيت الثاني بين (أبيض) و(أسود)، والأول كناية عن وجهها ، والثاني كناية عن شعرها، مما رسم صورة فنية جميلة جمعت أشياء متناسبة ومتناسقة عبرت عن شدة جمال ورد، فهي صورة جمعت شمس القصور وبدرها وبهجة زهرتها، وهي من مراعاة النظير في البيت الأول، وفي البيت الثاني جمع بين العين والوجه والشعر، وهو من مراعاة النظير؛ لأنها أشياء متآلفة ومتجانسة، مما يوحي بالبهجة والسعادة عند رؤيتها، وكل فنون البديع تتآلف وتتعاضد مع الصور البيانية في إفادة المبالغة في جمال هذه المرأة، مما يدل على أن البديع هنا غير متكلف . ومما جاء من الطباق المسمى تدبيجًا عند ديك الجن ما جاء في قوله في وصف الشيب:[1]

---

[4] البيتان من الكامل وهما للأخيطل المخزومي شرح ديوان المتنبي – (1 / 101) والوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني – (1 / 122) وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي – (1 / 22)

[1] الديوان: ص(211).

نَبَاتٌ فِي الرُّؤوسِ لَهُ بَيَاضٌ ... ولكنْ فِي القُلُوبِ لَهُ سَوَادُ

الشاعر هنا يشبه الشيب بالنبات الذي انتشر في الرءوس، ومع كون اللون الأبيض لامعًا براقًا إلا أنه هنا يترك أثرًا سيئًا في القلوب، فيصبح القلب حزينا من انتشار اللون الأبيض، وقد طابق الشاعر بين البياض والسواد، وذكر السواد كناية عن الحزن الذي يعتري الناس ندمًا على فوات أيام الصبا والشباب، وقد تآلفت ألوان البلاغة رسم هذه الصورة على أبلغ وجه، وانصهروا في بوتقة واحدة لا يوجد بينها حدود أو حواجز، مما أضاف جمالا إلى الصورة التي رسمها الشاعر.

المبحث الثاني: المقابلة في ديوان ديك الجن

المبحث الثاني: المقابلة في ديوان ديك الجن

اختلف البلاغيون في المقابلة، فبعضهم جعلها فنًّا مستقلًّا، وبعضهم جعلها من الطباق؛ لأنها عبارة عن طباق متعدد، فالطباق إذا جاوز ضدين صار مقابلة، وهذا هو الراجح"[1]، ولذلك جمعت المقابلة في هذا البحث مع الطباق لخروجهما من مشكاة واحدة.

قال الخطيب القزويني:" ودخل في المطابقة ما يخص باسم المقابلة وهو أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب والمراد بالتوافق خلاف التقابل"[2]

---

[1] علم البديع د بسيوني عبد الفتاح فيود: ص(126).

[2] الإيضاح بتعليق البغية : (580/4).

و تعد المقابلة من أكثر ألوان البديع التي شاعت في شعر ديك الجن ، كما كان لها كبير الأثر في بناء المعنى وتشكيله عنده ، حتى إنك لتجده في بعض الأبيات وقد بنى المعنى كله على فن المقابلة ، وهذا تحليل لبعض شواهد المقابلة يبرز أثر هذا اللون البديعي في شعر ديك الجن:

– فمن ذلك قوله في رثاء فاطمة الزهراء رضي الله عنها:

وَلَقَد تَأَملتُ القُبـــــورَ وَأَهْلَهَا فَتَشَتَّتَ فِكْـــــرِي بِهَا تَشْتِيتَا

كَمْ مُقْرَبٍ مُقْصًى وَكَمْ مُتَبَاعِدٍ مُدْنًى فَسَاوَرَتِ الحَشَا عِفْرِيتَا[3]

فهو في مطلع هذه الأبيات ينادي على قبر فاطمة ، ويضفي عليه بعدا إنسانيا مخاطبا إياه خطاب العقلاء ، ويذكره باحتوائه على بضعة الهادي – صلى الله عليه وسلم – وكيف أن الغيث قد رواه إكراما لها ، كما أن الطِّيب يفوح منه لأنها قد حلت به ، ثم يذكر وقوفه على القبور متأملا أحوال أهلها في القرب والبعد ، ولعله يريد بذلك اختلاف أحوالهم في القرب والبعد عن ديارهم ، فكم من قريب في الديار وقد أقصي قبره بعيدا

---

[3] ديوان ديك الجن الحمصي بتحقيق الأستاذ/ مظهر الحجي – منشورات اتحاد الكتاب العرب سنة2004 – ص 94

عن موطنه وأهله ، وكم من بعيد عن دياره ، وقد أدني قبره من موطنه وأهله.

فالشاعر قابل بين القرب والبعد ، والإقصاء والإدناء ؛ ليشير بذلك إلى تعجبه من أحوال الناس في قبورهم ، وتشتيت فكره في هذا الأمر ، فالمقابلة قد ساهمت في توضيح المعنى وتأكيده ، كما أنها جاءت متسقة مع نفسية الشاعر وما يعانيه من شتات الفكر عندما وقف على القبور ، وتأمل اختلاف أحوال أهلها في القرب والبعد عن الديار.

– ومن ذلك قوله في رثاء الحسين رضي الله عنه:

فالْجِسْمُ أضْحَى في الصَّعِيدِ[1] مُوَزَّعَاً والرَّأْسُ أمْسى في الصِّعَادِ[2] كَرِيمَا[3]

فالشاعر في هذه الأبيات تخيم عليه سحائب الأحزان لتذكره مقتل الحسين في كربلاء ، وقد أفقده هذا الحزن الشديد الإحساس بكل شيء ، فالنسيم العليل قد صار عنده كرياح السموم ، وهمومه ووساوسه لو كانت طعاما لما أخطأت الغسلين والزقوم من شدة قساوتها ومرارتها ، ثم يقول: كأني بالحسين وحيدا في كربلاء وقد صُوِّبَتْ نحوه السيوف من كل جانب

---

[1]()الصعيد: التُّرَاب الَّذِي لَا يخالطه رمل وَلَا سَبَخ (جمهرة اللغة ج2 ص654)

([2])الصعاد: الصَّعدةُ القناة المستوية تنبت كذلك، ومن القصب أيضاً، وجمعه: صِعاد (العين ج1 ص290)

[3]() الديوان ص218

يُصِرّون على قتله ، وإذا بجسد الحسين الطاهر مُقطع في التراب ورأسه الشريف مرفوع على أسنة الرماح.

فالشاعر قد قابل بين الجسم والرأس ، وبين (أضحى) و (أمسى) ، وبين الصعيد والصعاد ؛ ليشير إلى حالة التمزق التي كان عليها الحسين – رضي الله عنه – عند موته ، فالجسم في واد والرأس في واد ؛ وليتقابل هذا التمزق الحسي الذي كان عليه الحسين – رضي الله عنه – مع التمزق النفسي الذي يعيشه الشاعر كلما مرت عليه ذكريات مقتل الحسين – رضي الله عنه في كربلاء.

كما أن المقابلة بين وقت الضحى ووقت المساء تشير إلى طول المدة التي قضاها الحسين – رضي الله عنه – صامدا في قتال أعدائه ، حتى قتلوه – أخزاهم الله – وفصلوا رأسه الشريف عن جسده الطاهر.

فالمقابلة كان لها أبلغ الأثر في تشكيل المعنى ، وهو ما يؤكد أن فنون البديع لا "تأتي لمناسبة لفظية مرغوبة ، ولا لحلية حسية مطلوبة ، وإنما تنطوي ألوانه على مقاصد معنوية ، وجمال داخلي"[1].

– ويقول في رثاء جعفر بن علي الهاشمي:

شَمَائِلُ إِنْ يَشْهَدْ فَهُنَّ مَشَاهِدٌ عِظَامٌ ، وإِنْ يَرْحَلْ فَهُنَّ كَتَائِبُ[2]

([1]) البديع في ضوء أساليب القرآن د/ عبد الفتاح لاشين– دار الفكر العربي سنة 1419هـ / 1999م ص4

[2]()الديوان ص68

فالشاعر في هذه القصيدة يرثي جعفر بن علي الهاشمي ، ويعدد مناقبه وخصاله الحميدة ، ويشبه هذه الخصال وتلك الشمائل بتشبيه حسي بديع يتناسب مع حال حضوره ، وغيابه ، ففي حال حضوره يشبه هذه الشمائل بالمشاهد العظام – كالجبال والهضاب مثلا – إشارة إلى علو منزلته ورفعة قدره ، وفي حال غياب جعفر فإن هذه الشمائل تشبه الكتيبة من الجيش إشارة إلى دفاع شمائله وخصاله الحميدة عنه حتى في غيابه ، فهو الغائب الحاضر بشمائله وخصاله الحميدة.

وقد قابل الشاعر بين حال المرثي في حياته بقوله (يشهد) و بين حاله بعد مماته بقوله (يرحل) ، وبين قوله (مشاهد) و قوله (كتائب) ؛ ليشير إلى أن المرثي وإن غاب عن الوجود لموته ، فهو حاضر بشمائله وخصاله الحميدة ، فالمقابلة بين حياة المرثي وموته قد أثْرت المعنى ومكنته في نفس المتلقي ، بالإضافة إلى هذا التشبيه الذي هو من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس ، والذي يبرز المعاني العقلية في صور حسية يسهل إدراكها وتصورها.

– ويقول في رثاء حبيبته (ورد):

وَقَدْ كُنْتُ أَنْشُرُهُ ضَاحِكًا فَقَدْ صِرْتُ أَنْشُرُهُ بَاكِيَا[1]

فالشاعر في هذه الأبيات يرثي محبوبته (ورد) التي قتلها بيديه ، ويذكر ما كان بينهما من جميل الود والصفاء وصدق الحب ، وأنه كان يُحَدِّث بما

---

[1]() الديوان ص247

بينهما ويعلنه ضاحكا سعيدا ، أما الآن بعد مماتها فقد صار يذكر هذه الأمور ويتحسر عليها باكيا متندما ، فقد قابل الشاعر بين الحالين بقوله (كنت) وقوله (صرت) ، كما قابل بين الضحك والبكاء في قوله (ضاحكا) وقوله (باكيا).

ولا يخفى ما أضفته هذه المقابلة على المعنى من جمال وبهاء ؛ لأن الشاعر في مقام الأسف والندم على قتله لحبيبته ويتذكر حاله من السعادة والضحك وما عاشه من صفاء الود وجميل الحب مع حبيبته (ورد) قبل أن يقتلها ، وينظر في حاله التي صار إليها بعد مقتلها من الحزن والندم والبكاء ، فكان أن قابل بين الحالين ، بين ماضيه السعيد وحاضره الأليم.

– وفي هذا السياق يقول أيضا في رثاء (ورد):

كنتَ زَيْنَ الأَحْياءِ إذْ كُنْتَ فِيهِم ثُمَّ قدْ صِرْتَ زَيْنَ أهلِ القُبُورِ[1]

فالشاعر لندمه على مقتل (ورد) وحزنه على فراقها جعلها زين أهل القبور كما كانت في الحياة زين الأحياء ، ومن هنا قابل الشاعر بين الحياة والموت في قوله (زين الأحياء) وقوله (زين أهل القبور) ؛ ليدلل على قيمتها ومكانتها عنده سواء أكانت حية أم ميتة.

– ويقول مفتخرا بقبيلته كلب:

---

[1]() الديوان ص 153

إِنْ تَعْبِسِي لِدَمٍ مِنَّا هُرِيقَ بِهَا فَقَدْ حَقَنَّا دَمَ الإِسْلَامِ فَابْتَسِمِي[1]

فالشاعر يفتخر بقبيلته معددا مآثرها ، وما كان لها من دور كبير في نصرة الإسلام عن طريق الجهاد ، كما افتخر بكثرة الدم المُراق من قبيلته في يوم أحد ومؤتة وصفين وكربلاء ، ثم يتوجه إلى القبيلة بالخطاب قائلا : إن كان هناك غضب من كثرة الدماء التي أريقت من القبيلة ، فقد جعلناها حقنا لدماء الإسلام ، فلا ينبغي العبس والغضب بل يجب التبسم والضحك افتخارا بما قدمته قبيلة كلب للإسلام ، وقد صاغ الشاعر هذا المعنى بطريق المقابلة بين العبس والتبسم في قوله (إن تعبسي) وقوله (فابتسمي).

وهكذا كان لهذه المقابلة أبلغ الأثر في توضيح المعنى الذي يرمي إليه الشاعر من عدم العبس والغضب لكثرة الدماء المراقة من قبيلة كلب في سبيل نصرة الإسلام، فهذه الدماء هي مناط الفخر والاعتزاز ، فحُق لقبيلة كلب أن تبتسم ولا تعبس.

– ويقول ديك الجن واصفا مشهدا من مشاهد الوداع:

فَكَـــانَ أَوَّلَ عَهْدِ العَيْنِ يَوْمَ نَأَتْ بِالدَّمْعِ آخـرَ عَهْدِ القَلْبِ بِالْجَلَدِ[2]

فالشاعر يصف مشهدا من مشاهد الوداع بين الأحبة ، ومثل هذه المشاهد يصاحبها شعور بالحزن لألم الوداع والفقد ، وتتسارع فيها دقات

---

[1]() الديوان ص227

([2]) الديوان ص117

القلب لعدم قدرته على التحمل والصبر ، ثم يربط الشاعر بين العين والقلب عن طريق المقابلة بين بداية امتلاء العين بالدموع لحظة الوداع وبين نهاية عهد القلب بالصبر والتحمل ، فبداية دموع العين لحظة توديع الحبيب هي نهاية صبر القلب عن البعد.

فهذه المقابلة – من وجهة نظري– من أبدع ما قيل في توصيف مشهد الوداع ؛ لأنها ربطت بين دموع العين وتحمل القلب ، وهما أكثر أعضاء الإنسان تأثرا بمشاهد الوداع بين الأحبة.

– وقال في وصف السحاب المعترض في الأفق:

هُوَ عَارِضٌ زَجِلٌ فَمَنْ شَاءَ الحَيَا أَرْضَى وَمَنْ شَاءَ الصَّوَاعِقَ أَغْضَبَا[1]

فهو يصف هذا السحاب الذي ملأ الأفق ، فكان رضى لمن يبتغي منه الخير والمطر ، وكان غضبا على من لا يحب أصوات الرعد ووميض البرق.

فقابل الشاعر بين الرضا والغضب ؛ ليفرق بين حال من يرى في المطر الخير والرزق الوفير ، وحال من لا يعجبه صوت الرعد ووميض البرق ، فالأول راضٍ بالخير لأنه ينظر بعين التفاؤل والأمل ، والآخر غاضب من الصواعق لأنه ينظر بعين التشاؤم واليأس.

فالمقابلة هنا تبرز أن نظرة الناس للأمور تختلف تبعا لاختلاف نفوسهم ، فهناك النفس الممتلئة بالأمل والتفاؤل ، وهذه هي التي ترى في المطر

---

[1]() الديوان ص63

الخير والعطاء فترضى به وتسعد ، وهناك النفس الممتلئة باليأس والتشاؤم ، وتلك هي التي ترى في المطر الصواعق ، فتسخط منه وتشقى به.

– ويقول في غزله بورد:

وَتَمَايَلَتْ فَضَحِكْتُ مِنْ أَرْدَافِهَا عَجَبًاوَلَكِنِّي بَكَيْتُ لِخَصْرِهَا[1]

فالشاعر في هذه الأبيات يتغزل بمفاتن محبوبته ، وفي البيت الذي بين أيدينا كنايةٌ عن ضخامة الأرداف ودقة الخصر ، وقد بنى الشاعر هذه الكناية على فن المقابلة ، إذ قابل بين الضحك والبكاء في قوله "ضَحِكْتُ" ، و "بَكَيْتُ" ، فضحكه من أردافها كناية عن ضخامتها ، وبكائه من خصرها كناية عن دقته.

فالمقابلة بين ضحكه من أردافها وبكائه لخصرها قد امتزجت بالكنايةلتضفي عليها روح الجدة والابتكار ، وأسلوب المزج بين فنون البديع وفنون البيان من الأساليب التي شاعت في شعر ديك الجن كما في الشاهد السابق وغيرها من الشواهد التي يضيق المقام بذكرها.

– وقال ديك الجن:

خُذْ مِنْ زَمَانِكَ مَا صَفَا وَدَعِ الَّذِي فِيهِ الكَدَرْ[2]

فالشاعر يدعو إلى ترك ما يكدر صفو الإنسان في هذا الزمان واغتنام ما يبعث على الصفاء ؛ ولإيضاح هذا المعنى وتوكيده قابل الشاعر بين

---

[1] () الديوان ص147

[2] () الديوان ص266

الصفاء والكدر ؛ ليأخذ الإنسان من زمانه ما صفا من الأيام والساعات ، ويترك الأيام التي فيه الكدر.

فالمقابلة قد جاءت للترغيب فيما يبعث على السعادة والسرور والتنفير مما يبعث على الكآبة والكدر.

– وقال مفضلا الحب الأخير:

اشْرَبْ عَلَى وَجْهِ الحَبِيبِ المُقْبِلِ وَعَلَــى الفَمِ المُتَبَسِّمِ المُتَقَبَّلِ
شُرْبًا يُذَكِّرُ كُــلَّ حُبٍّ آخـــــرٍ غَضٍّ وَيُنْسِي كُلَّ حُبٍّ أَوَّلِ[1]

فالشاعر هنا يفضل الحب الأخير على الحب الأول ، ويبين أن شرب الخمر يُنسي الإنسان حبه الأول فلا يتذكر إلا حبه الأخير ، وهو ما بينه الشاعر من خلال قالب بديعي اعتمد فيه على فن المقابلة بين التذكر والنسيان في قوله (يُذَكِّر)وقوله (يُنْسِي).

فالمقابلة بين التذكر والنسيان قد أحسن الشاعر توجيهها للتعبير عن رأيه في قضية الحب الأول والحب الأخير ، فمن الشعراء من يفضل الحب الأول كما هو الحال عند أبي تمام في قوله:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنـينه أبـــدا لأول منزل[2]

---

[1]() الديوان ص203

[2]() شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي ج2 ص290 – تحقيق / راجي الأسمر – دار الكتاب العربي

– ويقول ديك الجن فيمن لا يرتجى منه النفع:

فَإِنْ مَاتَ لَمْ يُحْزِنْ صَدِيقًا مَمَاتُهُ وَإِنْ عَاشَ لَمْ يَضْرُرْ عَدُوًّا بَقَاؤُهُ[1]

فالشاعر هنا يتحدث عمن لا يرتجى منه النفع ، فصار في الوجود والعدم سواء، فموته لا يُحْزن صديقا كما أن بقاءه لا يضر عدوا ، وقد بنى الشاعر هذا المعنى على فن المقابلة حتى إنها شكلت جميع مفرداته ، فقد قابل بين (مات ، يحزن ، صديقا ، مماته) ، وبين (عاش ، يضرر ، عدوا ، بقاؤه) ، فهي مقابلة أربعة بأربعة، فلما كان المراد التعبير عن انعدام الفائدة في حال الموت أو الحياة قابل الشاعر بين الحالين ؛ ليؤكد على المعنى ، وليلبسه ثوب الجدة والابتكار ، ويخلع عنه ثوب الرتابة والتكرار.

– ويقول ديك الجن في المشيب:

نَبَاتٌ فِي الرُّؤُوسِ لَهُ بَيَاضٌ وَلَكِنْ فِي القُلُوبِ لَهُ سَوَادُ[2]

فالشاعر يتحدث عن الحزن الذي يعتري الناس ندما على أيام الشباب الذاهبة ، فشعر المشيب وإن ملأ الرؤوس بياضا إلا أنه يترك في القلوب سوادا من شدة الحزن على أيام الشباب.

وقد اعتمد الشاعر في إبراز هذا المعنى على المقابلة ، فقابل بين الرؤوس والقلوب ، وبين البياض والسواد ، ليبين أن حال القلب متناقض مع حال

([1]) الديوان ص58

([2]) الديوان ص115

الرأس عند المشيب ، فإذا كان المشيب يكسو الرؤوس باللون الأبيض المبهج إلا أن القلوب تتشح بالسواد من شدة الحزن على أيام الصبا ، كما أن هذه المقابلة تبرز جانبا مهما من جوانب التناقض عند بني البشر ، فهم يحبون اللون الأبيض ويتفاءلون به دائما في كل شيء ، وفي الوقت نفسه يكرهونه عندما يرونه وقد كسا رؤوسهم ، فيملأ الحزن قلوبهم ، ويصبغها بالسواد.

وهكذا كان لهذا الفن البديعي – أعني المقابلة – أبلغ الأثر في إبراز المعنى وتوكيده عند ديك الجن ، حتى إنه في بعض الشواهد – كما مر – قد صاغ المعنى كله وبناه على فن المقابلة ، كما رأينا من خلال بعض الشواهد أيضا الامتزاج بين فنون البديع وفنون البيان ، وهي ظاهرة بلاغية عند ديك الجن تستحق الدراسة من وجهة نظري.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، أفصح المتكلمين، وأبلغ الناطقين، خاتم الأنبياء، وإمام المرسلين، سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم– وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فقد عشنا مع ديك الجن في ديوانه وقتا بسياحة بلاغية في شعره، كان الغرض منها التعرف على شاعريته، ووضعه في مكانه اللائق بين شعراء عصره، تناولت – قدر الإمكان – إبراز بعض الجوانب البلاغية التي شاعت في شعره، وآثرت التركيز على جزء منها فقط، وقمت بدراسة الطباق والمقابلة في الديوان، وبعد أن تمت هذه الدراسة بفضل الله – تعالى – نخلص إلى ما يلي:

- شغلت الفنون البديعية حيزا كبيرا في شعر ديك الجن، استخدمها الشاعر في جميع الأغراض التي تحدث فيها من وصف، ومدح، وهجاء، ورثاء، وغيرها.
- شاع عنده الطباق بأنواعه المختلفة، وجاء في معظمه غير متكلف، حيث ظهر عنده الذوق الفني والبلاغي.
- جاء الطباق متآلفًا ومتجانسًا مع كثير من فنون البلاغة، وبخاصة الصورة البيانية، والتي كان يستخدمها لتصوير عاطفته وحالته النفسية ومذهبه.
- نتيجة اعتماد الشاعر على الصورة البصرية، برؤية الورود والأزهار بألوانها المتداخلة في بساتين حمص ، ظهر في شعره ما أطلق عليه البلاغيون التدبيج في باب الطباق، حيث ظهر التلاحم والتآلف بين الطباق والكناية بذكر الألوان، في أغراض متنوعة.

- شاع طباق الإيجاب وطباق السلب أكثر من التدبيج، واعتمد عليهما الشاعر في التعبير عن مكنون مراده بصورة مزينة وجميلة.
- اعتمد الشاعر أيضا على المقابلة، وجاء أكثرها من مقابلة معنيين بمعنيين،ولكنها كانت أقل من الطباق كثيرا في الديوان، وساهمت في تجويد كثير من الألوان البلاغية الأخرى.
- من خلال دراستي لهذا الديوان رأيت شيوع الفنون البديعية في ديوان ديك الجن، مما يشهد لهذا الشاعر بحسن التعبير، وجمال التصوير، وقدرته الواضحة على تزيين الكلام وتحسينه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د. أحمد أحمد محمد شكم

فهرس أهم المصادر والمراجع

- أساس البلاغة للزمخشري – تحقيق/ محمد باسل عيون السود – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى سنة1998م.
- الأعلام لخير الدين الزركلي – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الخامسة عشر سنة2002م.
- الأغانـــــي لأبـــي الفرج الأصفهاني – تحقيق د/ يوسف البقاعي ، وغريد الشيخ – منشورات مؤسسة الأعلمـــي للمطبوعات – بيروت – الطبعة الأولـــى سنة1420هـ/2000م.
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني – تحقيق/ سمير جابر – دار الفكر – بيروت الطبعة الثانية.
- أنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم المدني – تحقيق/ شاكر هادي شكر – مطبعة النعمان – النجف الأشرف – الطبعة الأولى سنة1389هـ/1969م.
- الإيضاح للخطيب القزويني بشرح البغية للشيخ/ عبد المتعال الصعيدي – مكتبة الآداب – الطبعة الرابعة.
- البديع في ضوء أساليب القرآن د/ عبد الفتاح لاشين– دار الفكر العربي بالقاهرة – سنة1419هـ/1999م.
- تاج العروس من جواهر القاموس للمرتضى الزبيدي – تحقيق/ مجموعة من المحققين – دار الهداية

- حياة الحيوان الكبرى للدميري– دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الثانية سنة1424هـ.
- ديوان ديك الجن الحمصي – جمع وتحقيق ودراسة/ مظهر الحجي – منشورات اتحاد الكتَّاب العرب – دمشق – سنة2004م.
- ديوان ديك الجن الحمصي – جمع وتحقيق ودراسة/أحمد مطلوب، وعبد الله الجبوري– منشورات اتحاد الكتَّاب العرب – .
- الشعر والشعراء لابن قتيبة – دار الحديث بالقاهرة سنة1423هـ.
- الصحاح : تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري – تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطا – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الرابعة سنة1987م.
- الصورة البيانية في شعر ديك الجن الحمصي(ت: 235 هـ)دراسة بلاغية نقدية تحليلية رسالة ماجستير بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين القاهرة للباحث: حسين علي عبد العزيز.
- علم البديع د. بسيوني عبد السلام فيود ط/ مؤسسة المختار الطابعة الثانية سنة 1425هـ/2004م.
- القاموس المحيط للفيروزآبادي– مؤسسة الرسالة – الطبعة الثامنة – سنة2005م.
- لسان العرب لابن منظور – دار صادر– بيروت – الطبعة الثالثة سنة1414هـ.

- معجم العين للخليل بن أحمد – تحقيق د/ أحمد المخزومي ، ود/ إبراهيم السامرائي – دار الهلال.
- مقاييس اللغة لابن فارس – تحقيق/ عبد السلام محمد هارون – دار الفكر سنة1979م.